الحجة المنطقية لمشكلة الشر

ماهر بن عبد العزيز الشبل
قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، كلية الشريعة، جامعة القصيم

(تاريخ الاستلام: 8-04-2025؛ **تاريخ القبول:** 31-08-2025)

مستخلص البحث: تعد مشكلة الشر أحد أهم مسببات الإلحاد في العصر الحاضر، حيث إنها معضلة أساسية ضمن حقل "فلسفة الدين"، ذلك الفرع الفلسفي الذي نشأ مؤخراً يزعم الحياد في دراسته للظواهر والمشكلات الدينية.
يهدف هذا البحث إلى المناقشة العلمية اعتماداً على البرهان لمعالجة الحجة المنطقية المستخدمة في تقرير مشكلة الشر. حيث اعتمد البحث على منهجين علميين؛ المنهج الوصفي في بيان تاريخ المعضلة في سياقيها الفلسفي والمسيحي، والمنهج النقدي في فحص وتحليل الحجة المنطقية وبيان الخلل وأوجه القصور وفق قواعد المنطق.
كما توصل البحث إلى نتائج أهمّها: أن مشكلة الشر معضلة وجودية إيمانية تحدّث عنها الفلاسفة واللاهوتيون منذ أزمنة متطاولة، وكان حديثهم عنها تلمساً للحكمة لا تشكيكاً في الوجود الإلهي، ويرى الباحث أنّه لا يمكن الاعتماد على اللاهوت النصراني مطلقًا في إبطال الحجة المنطقية كونه لاهوت قائم على عقائد محرفة مخالفة للعقل والمنطق، بخلاف العقيدة الإسلامية الموافقة للمنقول والمعقول التي يمكن من خلالها إبطال معضلة الشر.

الكلمات المفتاحية: الدين - الفلسفة - الإلحاد - اللاهوتية - التشكيك.

***

The Logical Argument for the Problem of Evil

Maher Abdulaziz Alshebl
Department of Aqidah and Contemporary Credal Schools, College of Sharia, Qassim University

(**Received:** 8-04-2025; **Accepted**: 31-08-2025)

Abstract: The problem of evil is one of the most significant causes of atheism in the modern era. It is a fundamental dilemma within the field of "philosophy of religion," a recently emerging branch of philosophy that claims neutrality in its study of religious phenomena and problems.
This research aims to provide a scientific, evidence-based discussion of the logical argument used to address the problem of evil. The research relies on two scientific approaches: the descriptive approach, which explains the history of the dilemma in its philosophical and Christian contexts, and the critical approach, which examines and analyzes the logical argument and exposes its flaws and shortcomings according to the rules of logic.
The research also reached the most important results: The problem of evil is an existential dilemma of faith that philosophers and theologians have discussed for a long time, and their discussion of it was a search for wisdom, not a questioning of divine existence. The researcher believes that Christian theology cannot be relied upon at all to invalidate the logical argument, as it is a theology based on distorted beliefs that contradict reason and logic, unlike the Islamic doctrine, which is in agreement with the transmitted and rational, through which the dilemma of evil can be invalidated.

Keywords: Religion, Philosophy, Atheism, Theology, Questioning.

(*) للمراسلة:
ماهر بن عبد العزيز الشبل
قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، كلية الشريعة، جامعة القصيم.

البريد الالكتروني: m.alshebl@qu.edu.sa

(*) **Corresponding Author**:
Maher Abdulaziz Alshebl
Department of Aqidah and Contemporary Credal Schools, College of Sharia, Qassim University.

E-mail: m.alshebl@qu.edu.sa

DOI: 10.12816/0062276

1 مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم إلى يوم الدين، أما بعد،

تمثل مشكلة الشر اليوم أحد أهم الاعتراضات الإلحادية على المؤمنين بالله عز وجل، ففي السابق لم تكن تناقش مشكلة الشر بصيغة تهدد الوجود الإلهي كما هي اليوم، إنما كان يتعرض لها في الفكر النصراني القديم والوسيط على سبيل تبرير الفعل الإلهي، ومؤخراً تطورت مشكلة الشر على يد الفلسفة التجريبية المتطرفة لتعبر عن القلق في وجود الله تعالى.

إن الكلام في مشكلة الشر مبثوث في التراث الإسلامي والغربي، وفي الفكر الغربي على سبيل الخصوص تم تناولها من زوايا عديدة؛ فالفلاسفة المؤمنون يتطرقون للشر ضمن تبرير أفعال الله، بينما الفلاسفة الذين لديهم نزعات إلحادية تناولهم للشر على أساس التشكيك في الجمع بين وجود الله ووقوع الشر، وقد تنوعت اعتراضاتهم على وجود الله باستخدام مشكلة الشر من خلال النظر إلى الشر أخلاقياً وهو ما ركز عليه لايبنز[1] ، ومنهم من استخدم الحجة المنطقية، وقد كانت شائعة الاستخدام في الفلسفة المعاصرة، غير أن صياغتها كانت مبسطة وتتضمن بعض الثغرات، إلى أن جاء جون ليزي ماكي[2] عام 1955م ليطور الحجة المنطقية ويسد ثغراتها ويمدها بالمزيد من المقدمات، لتكون -بزعمهم- حجة منطقية برهانية على نفي وجود الله.

على سبيل الإجمال يمكن تلخيص الحجة المنطقية لمعضلة الشر بأن وجود الشر منافر منطقياً لوجود الرب، فالعلاقة بينهما وجودياً متناقضة، وذلك لأن وجود الرب يعني الخير، بينما معرفتنا بوجود الشر متيقنة لإمكان الإحساس والشعور بها، فإذا كان الرب محبةً وخيراً والعالم من صنعه وملكه فكيف يسمح بوجود الشر؟ بالإضافة إلى أن الشر متيقن، بينما وجود الرب -بحسب زعمهم- مشكوك فيه، وذلك نتيجة التطرف بالأخذ بالفلسفة التجريبية إلى أقصى مداها، وحينئذٍ ينتج القول بنفي وجود الله. وسيأتي -بعون الله- مزيد تفصيل لهذه الحجة وبيان المآخذ والإشكالات التي تحفها منطقياً وعقلياً.

من هنا رأيت أن أخصص هذا البحث لمعالجة هذه الجزئية المتعلقة بمشكلة الشر، لعلي بذلك أساهم في تسليط الضوء على جانب من جوانب مشكلة الشر التي تمثل أحد أهم بحوث حقل فلسفة الدين، ومن الله أستمد العون والسداد.

1-1 مشكلة البحث:

تتلخص إشكالية البحث في أن الخطاب الإلحادي يعترض على وجود الله تعالى من خلال عدد من الشبهات أهمها وجود الشر في العالم، كما أن معضلة الشر ذاتها تتخذ عدداً من الأشكال والصيغ التي تروج بها الشبهة، غير أن خطورة الحجة المنطقية لمشكلة الشر أنها تتذرع بالمنطق كمرجعية عقلية لا نزاع فيها -يزعمون- من خلالها أنها الحجة المتماسكة والتي لا مدخل عليها، وهو ما سيتبين عواره ومخالفته لمبادئ المنطق بعون الله تعالى.

1-2 أسئلة البحث:

1. متى تناول الفلاسفة واللاهوتيون الحديث عن الشر؟
2. كيف عالج اللاهوت المسيحي عبر العصور مشكلة الشر؟
3. ما الحجة المنطقية لمشكلة الشرّ؟
4. من أبرز الفلاسفة الذين استندوا على المنطق في تبرير الإلحاد؟
5. من أبرز اللاهوتيين الذين ناقشوا الحجة المنطقية؟

1-3 أهداف البحث:

أ. بيان تاريخ البحث الفلسفي واللاهوتي لمشكلة الشر.

ب. تناول معالجة اللاهوت المسيحي عبر العصور لمشكلة الشر.

ج. الكشف عن الحجة المنطقية لمشكلة الشرّ.

د. بيان أبرز الفلاسفة الذين استندوا على المنطق في تبرير الإلحاد.

ه. بيان أبرز اللاهوتيين الين ناقشوا الحجة المنطقية.

1-4 حدود البحث:

تنحصر حدود البحث فيما يتعلق بمشكلة الشر وعلائقها اللاهوتية في الفكر الفلسفي والمسيحي قديماً من ناحية تاريخية للموضوع، ومن الناحية الموضوعية في الحجة المنطقية لمشكلة الشر في فلسفة الدين المعاصرة.

1-5 الدراسات السابقة:

كُتبت عدد من الأبحاث حول مشكلة الشر من منطلقات شتى؛ منها الإلحادي بدافع التشكيك في وجود الله تعالى، ومنها بغرض الدفاع عن الحكمة الإلهية انطلاقاً من الوجهة الإسلامية لدى الفلاسفة المنتسبين إلى الإسلام، وكذلك انطلاقاً من الوجهة المسيحية لدى اللاهوتيين النصارى قديماً في فلسفة العصور الوسطى وحتى حديثاً، غير أني سأحصر الدراسات التي تكلمت عن مشكلة الشر من خلال وجهة إسلامية وأبين من خلالها الفرق بين دراستي وبين تلك الدراسات:

(1) غوتفريد فليهلم لايبنز (1646-1716) فيلسوف ألماني، كتب مقالاً في الميتافيزيقيا يلخص فيه أفكاره الفلسفية والدينية، كما كان مشاركاً في الإبستملوجيا فكتب مقالات جديدة عن العقل البشري يناقش فيها آراء جون لوك حول نظرية المعرفة، وفي آخر عمره ألف كتاب محاولات في العدالة الإلهية والتي اشتهرت بثيوديسيا

(2) جون ليزي ماكي (1917-1981) فيلسوف أسترالي، شارك في الأخلاق، وفلسفة الدين، والميتافيزيقا، وفلسفة اللغة. كانت لديه آراء مؤثرة حول ما بعد الأخلاق، بما في ذلك دفاعه عن الشك الأخلاقي ودفاعه المتطور عن الإلحاد، كتب ستة كتب، كتابه الأكثر شهرة؛ الأخلاق: اختراع الصواب والخطأ (1977)، يبدأ بالقول بجرأة: "لا توجد قيم موضوعية". ويمضي في القول بأنه بسبب هذا، يجب اختراع الأخلاق بدلاً من اكتشافها. وقد أطلق على كتابه المنشور بعد وفاته: "معجزة الإيمان: الحجج المؤيدة والمعارضة لوجود الله" (1982) . وصفته مجلة تايمز بأنه " "ربما هو أقدر فلاسفة اليوم الملحدين"

1. العناية الإلهية ومشكلة الشر في الفكر الفلسفي "ابن سينا وموسى بن ميمون وتوماس الأكويني أنموذجاً" للدكتور ثائر علي الحلاق (2014)، وهو بحث دكتوراه تقدم به المؤلف إلى كلية دار العلوم بجامعة القاهرة. وهو بحث مميز غير أنه يعالج مشكلة الشر في حقبة تاريخية محددة، بينما دراستي تتوجه بشكل أساسي إلى التطورات المعاصرة لمشكلة الشر في القرن الماضي.
2. العناية الإلهية ومسألة وجود الشر في العالم بين الفلسفتين الإسلامية والمسيحية في العصر الوسيط دراسة مقارنة (2004) للدكتور أحمد محمد جاد عبد الرازق، بحث منشور في حولية الجامعة الإسلامية بإسلام آباد، وهو بحث مهم تناول الموضوع من زاوية تاريخية فلسفية ودينية، غير أنه لم يناقش الحجة المنطقية كونها جاءت خارجة عن النطاق الزمني لدراسته.
3. مشكلة الشر، دراسة عقدية نقدية، د. علي بن محمد العتيبي، بحث دكتوراه في الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، وهو بحث شرعي متميز يناقش مشكلة الشر من جهة علائقها الشرعية بأبواب القضاء والقدر والحكمة ومواقف المدارس الإسلامية حيالها، كما تطرق في نهاية البحث إلى موقف الفلاسفة الغربيين والملاحدة من مشكلة الشر ونقده، وفيه تناول الاستدلال بالمقدمات المنطقية في أربع صفحات ص473-477، لخص فيها المسألة بشكل جيد، ثم في المبحث الأخير ناقشها، فالبحث يتناول إشكالية الشر بعموم وارتباطها بالمفاهيم والمصطلحات الشرعية، في حين يتخصص بحثي لمعالجة جزئية معينة من زاوية إبستملوجية منطقية.

هذه أبرز الدراسات التي وقفت عليها وأفدت منها، وهي مجرد مثال وإلا فثمة دراسات كثيرة تناولت مشكلة الشر، غير أنه لم يجر فيها تناول مخصص للحجة المنطقية لمشكلة الشر وفق مرجعية إيمانية إسلامية، وهو ما أسعى إليه في هذا البحث بعون الله تعالى.

6-1 منهج البحث:

يعتمد البحث على منهجين أساسيين؛ المنهج الوصفي من خلال ذكر تاريخ معضلة الشر في الفكر الغربي وعلاقتها بالمفاهيم اللاهوتية والفلسفية، والمنهج النقدي من خلال عرض وفحص الحجة المنطقية التي يعترض بها أصحاب الخطاب الإلحادي؛ لبيان الخلل وأوجه النقص والقصور منطقاً وعقلاً وشرعاً.

7-1 خطة البحث:

وقد جرت خطة البحث كالتالي:

- مقدمة.
- المبحث الأول: تاريخ مشكلة الشر.
- المبحث الثاني: مشكلة الشر في النصرانية.
- المبحث الثالث: العدالة الإلهية "ثيوديسيا".
- المبحث الرابع: تطوير الحجة المنطقية لمشكلة الشر.

المبحث الأول: تاريخ مشكلة الشر.

يرد ذكر الشر مفرقاً في التراث الديني والفلسفي، حيث لا تخلو ديانة سماوية أو وضعية من معالجة خاصة لمعضلة الشر؛ كلٌ من هذه الأديان تنطلق من خلفياتها ومؤثراتها الخاصة بها، وفي هذا المبحث سأشير بإجمال إلى الموقف الديني من مشكلة الشر، كما سأشير إلى تناول فلاسفة اليونان للشر والحلول التي قدموها لهذه المشكلة الفلسفية؛ لكونهم مؤثرين بشكل كبير على الفكر الديني بعدهم خصوصاً في تأثير أفلوطين على النصرانية. أما بالنسبة لتاريخ بحث مشكلة الشر في النصرانية خصوصاً فسأخصص له المبحث التالي؛ لأهميته وكثرة التفاصيل فيه ولكونه هو المؤثر بشكل رئيسي على حقل فلسفة الدين المعاصر.

فالموقف الديني الوضعي منهم من ذهب إلى أن الشر المتمثل في عالم الظواهر هو مجرد وهم، وهو مذهب له أصول هندية في أحدية الفيدانتا، وله وجود في الفكر النصراني الحديث، حيث يرون أن الشر لا يعدو أن يكون وهماً، حيث لا وجود أنطلوجي للشر، ويلاحظ على هذا المذهب أنه اكتفى بنفي الشر ولم يوضح الأزمات الأخلاقية والنفسية التي يعايشها الإنسان ومدى علاقتها بالشر، حتى ذكر في مذهبهم أن الطريقة الوحيدة لدعم الخير الإلهي هي إنكار بؤس الإنسان وشره تماماً[1].

وفي المقابل نجد في الزرادشتية حلاً آخر لمعضلة الشر ينطلق من الثنائية وأن الخير والشر متعارضان، ولذا تخلصوا من المعضلة بالقول بإلهين؛ إله الخير وإله الشر، وهو الحل الذي انتهى إليه القديس أوغسطين مطلع القرون الوسطى ليؤثر تأثيراً بالغاً على اللاهوتيين من بعده في العصر الوسيط والحديث، كما لدى جون ستيورت مل.

(1) William L. & William J., Philosophy of religion, "god and the problem of evil", (225-227).

والمذهب الثالث جمع بين الواحدية والثنائية، وهو ما يعبر عنه بالثنائية الأخلاقية المستندة إلى الوحدانية الميتافيزيقية، بمعنى أنه لا يقول بإلهين، وإنما يؤمن بوحدانية الخلق، وأن وجود الشر أخلاقي، وهو مذهب تم تطويره من خلال بعض الكنائس الإصلاحية[1].

أما على الصعيد الفلسفي فقد تناول فلاسفة اليونان على اختلاف وجهاتهم مشكلة الشر وقدموا حلولاً لها، والإشارة إليهم في هذا الصدد مهم؛ لتأثيرهم على الفكر الفلسفي بعدهم، وأيضاً لتأثر الفكر الديني وامتزاجه بالعناصر الفلسفية سواءً في المسيحية أو في الإسلام لدى الفلاسفة المنتسبين إلى الإسلام وبعض الفرق الكلامية، حيث يلحظ في التراث المعتزلي مادةً تسعى إلى علاج هذه الإشكالية لتعارضها مع أصل العدل الذي يمثل شعار المعتزلة، وهي مادة لا تخلو -كسائر تراث المعتزلة- من آثار العنصر الفلسفي الأجنبي عن الإسلام.

أفلاطون: جرى ذكر الشر لدى أفلاطون عند حديثه عن الكمال والجمال في العالم، وتطرق من خلال ذلك إلى أن العالم لا يمكن أن يخلو من وجود الشر؛ إذ لولا وجوده لما أمكن التمييز بين الخير والشر، وإذا كان الله خير محض في ذاته وهو مصدر الخيرات فليس هو مصدر الشر، بل الشر من مصدر آخر؛ لأنه لا يمكن أن تأتي الشرور من الصانع الذي هو خير ويصنع الأشياء على أفضل وجهٍ ممكن، إنما مصدر الشرور والنقائص هي المادة التي تشوب العالم المحسوس، وهذه المادة لا يمكن للعقل البشري أن يلم بطبيعتها على الإطلاق؛ لأنها العنصر اللامعقول في الكون[2].

وهنا اختلفت قراءة متن أفلاطون، فمنهم من ربطه بالزرادشتية الثانوية، ومنهم من فك الارتباط بينهما، وجعل كلامه في الشر نتيجة تقريره في نظرية المثل؛ حينما جعل العالم عالمين؛ العالم المعقول الكامل الحاوي للمثل، وعالم محسوس ناقص[3].

أفلوطين: موقفه من مسألة الشر فيه شيء من التذبذب والتناقض، فتارةً يصف المادة بأنها شر، ويصف الكون بأنه خير، كما يفرق بين العالم العلوي والسفلي؛ الأمر الذي أورث إشكالاً ولبساً عند من تأثر به، خصوصاً أوغسطين ومن تبعه من فلاسفة العصور الوسطى، غير أنه لا يخفى عظيم تأثير أفلوطين الكبير على الفكر النصراني الوسيط وعلى الفلاسفة المنتسبين إلى الإسلام[4].

يوضح هذا اللبس وصفه للمادة بأنها ظلمة لا شكل لها، وأنها مبدأ النفي والسلب، وهذه السلبية التي فيها تجعلها مبدأ الشر في العالم المادي، وبالرغم من كون المادة شراً عند أفلوطين فإن العالم المادي المحسوس ليس بشرٍ عنده، إذ هو أفضل العوالم الممكنة، وهكذا يسعى أفلوطين إلى الجمع بين فكرة أرسطو عن المادة بوصفها سلباً خالصاً بفكرة أفلاطون عن المادة بوصفها فعالية التنظيم والتكوين المشاكسة في النفس. ومن هنا لوحظ تأثر أفلوطين بالنظريات الغنوصية القائلة بأن الشر دخل العالم عن طريق اتحاد النفس بالمادة، وهي مسألة مرتبطة بنظريته في الفيض، فعلى الرغم من وجود الشر إلا أنه عرضي لا جوهر، فهو يحصل في مرحلة تالية من مراحل الفيض[5].

وهنا يلحظ أن الحل الذي أتى به أفلوطين منسجم مع فلسفته الوجودية من خلال نظرية الفيض؛ فعنده أن الله ليس خالقاً بالمعنى السماوي، إنما المادة نتيجة الفيض فلذلك هي المصدر الأساسي والمبدأ للشر، وعليه فالله ليس مسؤولاً عن المادة خيرةً كانت أم شريرة، فإذا كانت المادة شراً فالله ليس شراً لأن العلاقة بينهما ليست مباشرة كما في نظرية الخلق، وإنما هي علاقة منفصلة كما تقرره نظرية الفيض[6].

هكذا بإجمال عرضت لأهم النظريات الفلسفية التي تطرقت لمشكلة الشر وكان لها تأثير على الفكر الديني الإسلامي والمسيحي، وإلا فالكلام حول آراء الفلاسفة في مشكلة الشر يستغرق كلاماً أطول، لكني حسبي أن أشرت إلى ما له علاقة مباشرة بموضوعنا.

المبحث الثاني: مشكلة الشر في النصرانية.

في هذا المبحث سنخصص الحديث حول مشكلة الشر لدى النصارى وكيف عالجها اللاهوتيون في العصور الوسطى، والإشارة إلى أهم المؤثرات التي شكلت رؤاهم وأفكارهم حيال هذه القضية والتي استمرت قرونًا طويلة، حيث لا تزال تلك الحلول حاضرة ومؤثرة ضمن السجال الحديث في فلسفة الدين. كما أن طبيعة الباعث على مناقشة مسألة الشر بين النصرانية المبكرة وبين النصرانية الحديثة مختلف تماماً، فإذا كانت الاعتراضات الإلحادية المعاصرة تناقش مسألة الشر لتتخذها دليلاً على الإلحاد، فإن طرح المشكلة في التاريخ النصراني المبكر لم يكن اعتراضاً إلحادياً، إنما كان على سبيل المناقشة بين من يؤمن بإله واحد -بزعمهم- وبين من يؤمن بإلهي الخير والشر -المانوية- كما سيأتي تفصيله عند الحديث عن القديس أوغسطين -بحول الله-.

(1) انظر: العناية الإلهية ومسألة وجود الشر في العالم بين الفلسفتين الإسلامية والمسيحية في العصر الوسيط دراسة مقارنة ص29، أ.د. أحمد محمد جاد عبدالرازق، حولية الجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد، 2004م

(2) انظر: مدخل إلى الفلسفة القديمة، آرمسترونغ، (ص:79).

(3) انظر: جمهورية أفلاطون، لحنا خباز (ترجمة) (ص:183) والمدخل إلى الفلسفة، لأزفلد كولبه (ص101).

(4) انظر: الموسوعة الفلسفية المختصرة، جوناثان رى وج.أو. أرمسون، (ص59-61).

(5) انظر: مدخل إلى الفلسفة القديمة (ص251)، وتاسوعات أفلوطين (ص440).

(6) انظر: مدخل إلى الميتافيزيقا، إمام عبد الفتاح إمام (ص133).

إن الكلام على الشر لدى النصارى يتطلب معرفة المدخل الذي من خلاله تطرقوا لمشكلة الشر، حيث كان الكلام عن الله تعالى وصفاته، وفي الكلام عن الصفات الإلهية يتم التطرق إلى موضوع مهم ضمن مصطلح جرى تداوله في التعاليم الكنسية السكولائية، وهو مصطلح "العناية الإلهية"، هذا من جانب ومن جانبٍ آخر دخلوا إلى مشكلة الشر من بوابة الفلسفة الوجودية "الأنطلوجية"، من جهة خلق الشر وعلاقته بالعالم، وهل يتعارض مع نظرية العناية الإلهية والتي فهمت على أساس لا وجود للشر، وهكذا كان المدار في مشكلة الشر على مفهوم "العناية الإلهية"، والذي له خلفيات تاريخية مرتبطة بتعاليم الكتاب المقدس، وهو ما يمكن تلخيصه ضمن النقاط التالية:

1. أن دور الله باعتباره هادياً للعالم إلى غايته المأمولة أو المتنبأ بها بواسطته ليس مقصوراً على عناصر النظام الطبيعي فحسب، بل هو تدخل حر من قبل الإله، فهو يتضمن خلق العالم من عدم والامتلاء الأخروي باعتباره فعلاً خالصاً لله خارج النطاق الإنساني وقوانين الطبيعة، فالآخرة لا يمكن وضعها ضمن مصطلحات غائية.
2. العلاقة بين الله والعالم المعبر عنها بالعناية الإلهية تبلغ الذروة في العلاقة الشخصية بالإله الشخصي الذي أعطى الإنسان حريته ابتداءً وانتهاءً، وعليه فحرية المخلوقات لا تقف ولا تنقطع بالاعتماد على الممكن، كما أن حرية الفعل الإنساني ليست معارضاً أو منافساً للعناية الإلهية.
3. خيرية الله وحكمته وقدرته بالإمكان تعرف البشرية عليها من خلال تاريخ الخلاص والوعود الإلهية، فالعناية مرتبطة بالإنسان في كل أحواله.
4. خيرية الله التي تخطط وتدفع هي بحاجة إلى التفسير الذي تعطيه الكلمة الإلهية بما تعرف به الإيمان والأمل، لا بعلامة عقلية يرشد إليها العقل، وعليه فلا شيء يمكن أن يواجه العناية إيمانياً.
5. الإيمان بالعناية أشبه بالتمرين التعبدي في الصلاة، ليس فحسب لأجل الملكوت الأعلى والفكر المعطى بواسطة خيرية الله، ولكن أيضاً في الامتلاء من الوعود الإلهية المقترحة؛ فالحاجة الإنسانية دائمة إلى حفظ الله وعنايته وبره[1].

بعد هذا التمهيد يمكن التوقف عند محطتين رئيسيتين في تاريخ الفكر النصراني من خلال علمين لهم تأثير كبير بحسب النتائج والحلول التي توصلوا إليها حيال معضلة الشر، وكل واحد منهم يمثل حقبة تاريخية مختلفة عن الآخر؛ فأوغسطين يمثل المسيحية في مرحلتها المبكرة، حيث عاش ما بين القرن الرابع والخامس الميلاديين، والتي امتدت آراءه مسيطرة على القرون الوسطى حتى عصر النهضة، والآخر لايبنتز يمثل العصر الحديث، وسيتم تناول آرائهم باختصار للوصول إلى الإشكالات المعاصرة والاعتراض المنطقي على مشكلة الشر.

أولاً: أوغسطين.

تكمن أهمية أوغسطين ومركزيته في الفكر النصراني لكونه لاهوتي وفيلسوف صاغت كثيراً من أفكاره القرون الوسطى، وفيما يخص مسألة الشر فهو ينطلق من مبدأ تعظيم الله تعالى وأنه لا يشك في وجوده، وأن الأشياء المرئية في العالم من نظام وجمال وحركة وتغير شاهدة على إرادة الله، كما أن العالم لديه متناسق منسجم، يقوم على قواعد الصورة والقياس والعدد، فهو يقابل بين الأعداد الرياضية والأعداد الميتافيزيقية، فالعالم يقوم على العدد؛ لأننا نعد الأشياء، وعلى القياس لأننا نقيس الأشياء، والقوانين الرياضية التي تسود العالم مما يؤدي إلى انسجامه وانتظامه[2].

والمشكلة تأتي من افتراض أن العالم صنع الله، وكان الله خيراً بالذات، فكيف يوجد الشر في العالم؟ وهو ما أرق أوغسطين طويلاً، وكانت هي محور حديثه في كتابيه "الاعترافات" و"مدينة الله".

غير أن أوغسطين في مبدأ أمره اعتنق المانوية التي تحل إشكالية الشر بطريقة سهلة حين تفصل بين عالم الخير وعالم الشر بالقول بإلهين؛ إله النور وإله الظلمة، بحيث يمكن نسبة الشر إلى إله الظلام، فكانت المانوية تمثل بالنسبة له وسيلة مثلى لفهم العالم المركب من الخير والشر. ثم تحول عن المانوية باعتناق النصرانية، وعاودت مشكلة الشر تؤرقه كثيراً فكان مما قال: (مشكلة الشر من الأصل غامضة لدي ومستعصية أياً كان مصدر الشر، فقد رأيت وأنا أتحراه ألا أتخذ السبيل الذي يجعلني أعتقد أن الله الأزلي غير المتغير متغيراً، وإلا أصبح ذلك الذي أبحث عنه، وقمت بالبحث وأنا واثق من ضلال تعليم هؤلاء[3]، الذين تجنبتهم من كل قواي، إذ رأيتهم أثناء بحثهم عن مصدر الشر منتفخين خبثاً، ميالين إلى الاعتقاد أن ذاتك أكثر قابلية لتحمل الشر منهم إلى ارتكابه)[4].

كما يؤكد أوغسطين على إيمانه وتخطأته لقول المانوية، غير أنه في الوقت ذاته حائر في البحث عن الجواب للمعضلة الوجودية، حيث يقول: (لكني لو كنت إلى ذلك الحد أقول وأعتقد جازماً أنك لا تقبل بتاتاً الدنس ولا التحول ولا التغير في أي جزء من أجزائك مولانا أيها

(1) انظر: العناية الإلهية ومسألة وجود الشر في العالم بين الفلسفتين الإسلامية والمسيحية في العصر الوسيط دراسة مقارنة، جاد أحمد محمد، (ص108).
(2) انظر: العناية الإلهية د. أحمد جاد ص109.
(3) يعني المانوية.
(4) اعترافات القديس أغستينوس ترجمة إبراهيم الغربي (ص189).

الإلـه الحـق الـذي خلقت كل المخلوقـات والأشـياء؛ فمـع ذلـك لـم أكـن أملـك تفسـيراً لسـبب الشـر، فمهمـا كان مصـدره كنـت أرى وجـوب البحـث عنـه، لذلـك كنـت أبحـث عنـه آمنـاً واثقـاً مـن عـدم صحـة مـا كان يقـول القـوم المانويـون الذيـن كنـت هاربـاً منهـم بـكل جوارحـي؛ لأنـي كنـت أراهـم فـي البحـث عـن منشـأ الشـر مليئيـن بالمكـر، حتـى أنهـم كانـوا يعتقـدون أن جوهـرك يتحمـل الشـر عـوض أن يقولـوا إن جوهرهـم يرتكـب الشـر[1].

فـي تلـك المرحلـة يأتـي تأثيـر الأفلاطونية المحدثة ليسـاعد أوغسـطين علـى إنشـاء حـل يتوائـم مـع الفكـر النصرانـي القائم علـى مفهـوم الـخلاص مـن خطيئـة آدم، وهـي عقيـدة مسـيحية أساسـية، تعتقـد بـأن العالـم خيـرٌ فـي أساسـه؛ لأنـه صنـع الله، ولكنـه فاسـد عمليـاً؛ لسـيطرة الخطيئـة عليـه[2]، بحيـث يكـون الشـر الأخلاقـي الواقـع مـن قبـل الإنسـان هـو نتيجـة الإرادة الحـرة، فهـذا هـو مفهـوم الشـر كنسـياً علـى خلاف المفهـوم اليونانـي للشـر.

مـن هنـا أعجـب أغوسـطين بحـل أفلوطيـن الـذي يجعـل المـادة مصـدر الشـر الموجـود فـي العالـم[3] ، ويؤكـده بـأن الجسـد يمثـل مصـدر الشـهوات ومنبـع الخطيئـة، غيـر أن أفلوطيـن جعـل المـادة هـي مصـدر الشـر ومبـدأه الحقيقـي وفقـاً لنظريتـه فـي الفيـض، فـي حيـن يذهـب أوغسـطين تبعـاً للأديـان السـماوية إلـى نظريـة الخلـق بـدلاً مـن الفيـض، وحينئـذٍ يفسـر الشـر علـى أسـاس ارتباطـه بالمـادة مـحلاً، غيـر أنهـا لا يمكـن أن تكـون شـراً محضـاً، فهـي فـي الأصـل خيـر لأنهـا صـادرة مـن الـرب الـذي منحهـا الوجـود ووضـع لهـا نظامـاً، فالشـر ليـس إلا عرضـاً ناتـج عـن تنافـر المـواد والمخلوقـات، اسـتناداً إلـى نصـوص الكتـاب المقـدس القائلـة: "كل خليقـة الله جيـدة"، (ولا نجانـب الصـواب لـو أننـا قلنـا أن هـذه الفكـرة أصبحـت هـي الفكـرة الشـائعة التـي يشـترك فـي الإيمـان بهـا كل الفلاسـفة المسـيحيين، فهـي المبـدأ الـذي يعتمـد عليـه الإثبـات المسـيحي للخيـر الداخلـي الذاتـي القائـم فـي جميـع الموجـودات، وهـو نفـس المبـدأ الـذي سـوف يعتمـد عليـه فـي تفسـير الشـر الحـادث فـي الطبيعـة؛ لأن المسـيحية لا تنكـر فقـط الشـر، وإنمـا هـي تبيـن طابعـه السـلبي العرضـي، وبذلـك تعطينـا الأمـل فـي التغلـب عليـه)[4].

والـكلام علـى أوغسـطين يطـول، لكـن ختامـاً أنبـه إلـى أن مركزيـة أوغسـطين فـي الفكـر الكنسـي وحلـه الـذي انتهـى إليـه بعـد المعانـاة الطويلـة واعتناقـه للمانويـة لأجـل الشـر؛ فـإن الحـل الـذي انتهـى إليـه وعمـوم آراءه فـي العنايـة الإلهيـة قـد أثـرت بشـكلٍ كبيـر علـى الفكـر اللاهوتـي فـي القـرون الوسـطى والحديثـة، فـي الجانـب الفلسـفي علـى القديـس توما الأكوينـي وفـي الجانـب الدينـي الإصلاحـي علـى مارتـن لوثـر وكالفـن وغيرهـم.

ثانياً: لايبنتز.

ينطلـق لايبنتـز مـن مبـدأ أن الله علـة أولـى للأشـياء، كمـا أنـه يجـب أن يكـون ذا كمـالٍ مطلـق، ويسـتنتج مـن ذلـك أنـه اختـار لنـا أفضـل العوالـم، وإذا كان كذلـك فكيـف نفسـر وجـود الشـر؟ يجيـب بقولـه: (إن تصـور عالـم بلا آلام أو شـرور هـو ضـربٌ مـن الخيـال أو اليوتوبيـا، ذلـك لأنـه لـو محـي الشـر مـن الوجـود أصلاً لـم يصبـح هـذا العالـم علـى الصـورة التـي هـو عليهـا الآن، ولـم يكـن بذلـك أفضـل العوالـم الممكنـة، فقـد يتبـع الشـر أحيانـاً الخيـر، وربمـا يـؤدي اجتمـاع شـرين إلـى خيـر؛ إذن مـن المبالغـة أن نقـول إن الشـر يفـوق الخيـر فـي العالـم)[5].

بحكـم تخصـص لايبنتـز الرياضـي والفيزيائـي وابتـكاره لنظريـة الانسـجام الأزلـي دخـل إلـى مشـكلة الشـر، حيـث انطلـق مـن أن نظريـة الانسـجام الأزلـي تـؤدي إلـى إنـكار الحريـة، وبالتالـي المسـؤولية، فكيـف نفسـر وجـود الشـر فـي العالـم؟ ألسـنا مضطريـن إلـى نسـبته إلـى الله؟

كمـا أن هـذا العالـم هـو أحسـن عالـم ممكـن، فكيـف نفسـر وجـود الشـر وهـو سـائدٌ فيـه؟

هـذه الإشـكالية العويصـة التـي طالمـا رددهـا الملحـدون فـي وجـوه اللاهوتييـن أجـاب عنهـا لايبنتـز بتقريـر أن الشـر يظهـر بثلاثـة أوجـه:

1. الشـر الميتافيزيقـي، وهـو نقـص فيزيائـي وعقلـي وأخلاقـي ملازم لـكل مـا هـو مخلـوق، لـم يكـن فـي وسـع الخالـق تلافيـه؛ لأنـه نتيجـة لازمـة عـن كونـه الخالـق الكامـل فـلا يمكـن أن تكـون مخلوقاتـه كاملـةً مثلـه، وإلا لانتفـى الفـارق بيـن الخالـق والمخلـوق، وعليـه فـلا لـوم علـى الخالـق علـى مـا فـي مخلوقاتـه مـن النقـص.
2. الشـر الفيزيائـي، وهـو الألـم بـكل أشـكاله، ويفسـر لايبنتـز وجـوده بـأن الله لـم يـرده، لكنـه وجـد نتيجـة تحقيقـه خيـرات؛ إذ إنـه مـن الضـروري فـي بعـض الأحـوال مـن أجـل إيجـاد خيـر أكبـر أن يسـمح ببعـض الشـرور بوصفهـا شـرط تحقيـق هـذه الخيـرات الأكبـر؛ لـذا سـمح الله بحـدوث بعـض الآلام ابتغـاء تحقيـق خيـرات أعظـم، كمـا أن الله تعالـى عـادل، وعدلـه يقتضـي عقاب الأشـرار، فـالآلام فـي كثيـر مـن الأحيـان نـوع مـن العقـاب عـن الذنـوب والخطايـا.
3. الشـر الأخلاقـي، وهـو الخطيئـة بـكل درجاتهـا، ولا يمكـن ادعـاء أن الله أرادهـا؛ لأن الله حـرم ارتـكاب الخطايـا، كمـا لا يمكـن قـول إن الله سـمح بهـا، ذلـك لأنـه مـن الواجـب

(1) انظر: المصدر السابق ص191.
(2) انظر: تكوين العقل الحديث، راندال (255/2).
(3) للتوسع حول الفرق بين أوغسطين وأفلوطين ونقد أوغسطين لأفلوطين يمكن الرجوع إلى: " تاريخ الفلسفة الأوربية في العصر الوسيط"، يوسف كرم (ص43).
(4) روح الفلسفة الأوربية في العصر الوسيط، إتين جلسون (ص:165).
(5) See: Theodicy, Leibniz, (p. 127).

علينا تجنبها، فلم يبق غير تفسير وحيد، وهو أننا نجد أنفسنا في بعض الأحوال مقسورين على الاختيار بين خطيئتين[1].

هكذا يلحظ عند لايبنتز تطور في حل مشكلة الشر، وانتقال من الاعتماد على الحل الذي أتى به القديس أوغسطين إلى تطويره وفق مصطلحات ومفاهيم حديثة، وهو ما عرف بمصطلح ثيويدسيا، والذي سأتناوله بشيءٍ من التعريف في المبحث التالي.

المبحث الثالث: العدالة الإلهية "ثيوديسيا".

إن مشكلة الشر وثيقة الصلة بمبحث ثيوديسيا، وهي كلمة يونانية؛ ثيوس بمعنى الإله، وديك بمعنى العدالة، وقد استخدمه لأول مرة الفيلسوف الألماني لايبنتز، وجعله عنواناً لكتابه: "مباحث إلهية حول رحمة الله وحرية الإنسان وأصل الشر"، يقول إميل برهييه: (لقد طرح لايبنتز على نفسه برحابة كبيرة هذه المسألة في واحد من أطول مؤلفاته "ثيوديسيا"، وبصفة عامة صانع الشر، والكتاب يستوحي في شطرٍ لا بأس به منه التعليم التقليدي المتوارث عن الرواقيين والقديس أوغسطينوس، والذي كان ديكارت بدوره اعتمد عليه في رابع تأملاته؛ فهو يميز بين الشر الميتافيزيقي أو النقص، والشر الطبيعي أو الألم، والشر الإثمي أو الخطيئة)[2].

فطبيعة البحث حول العدالة الإلهية كان ينتمي إلى الفلسفة الميتافيزيقية، لكن الإضافة التي قام بها لايبنتز أنه خص هذا المبحث باسم فلسفة العدالة الإلهية، وهو مبحث يتكلم عن وجود الله وصفاته وخصوصاً صفة العدل، فاليثوديسيا ظهرت دفاعاً عن خيرية الله وعدالته لمواجهة الاعتراضات الناشئة عن ظواهر الشر في العالم.

إن فكرة ثيوديسيا لدى لايبنتز تنطلق من تقرير أفضلية العالم وأنه أحسن الممكن، لذا فالشر إذا قيس به فلا يقارن بما لدى العالم من خير، يقول عن العالم إنه أفضل العوالم الممكنة، وأنه رغم ما في عالمنا من شر فإن كل عالمٍ آخر فسيكون أعظم شراً أو أقل خيراً، وبالتالي سيكون أسوأ من عالمنا، والله اختار أفضل العوالم الممكنة وجعله واقعاً برغم وجود الشر فيه، لهذا فإن الشر ضروري في عالمنا، بالإضافة إلى أن المذاهب الثيوديسية تقرر أنه برغم أن الله كلي القدرة إلا أنه ليس بإمكانه أن يفعل أفضل مما فعل[3].

وكما يشير لالاند أن مصطلح ثيوديسيا دال على تسويغ رحمة الله في مقارعة الحجج المستفادة من وجود الشر، ومن ثم يتم به دحض المذاهب الإلحادية والثنوية، كما أن هذا المصطلح استخدم في القرن التاسع عشر في فرنسا ضمن المدارس والمعاهد كأحد أربعة أقسام: (نفسانيات، منطقيات، أخلاقيات، إلهيات)، وكانت المسائل المندرجة تحت الإلهيات هي: الأدلة على وجود الله، أسماء الله، دحض الاعتراضات المستفادة من الشر المادي والشر الأخلاقي، مصير الإنسان، براهين خلود النفس، الأخلاق الدينية، أو الواجبات تجاه الله [4].

لاحظ أن هذه الموضوعات هي موضوعات فلسفة الدين في القرن العشرين والحادي والعشرين.

كما يلاحظ أيضاً أن ما يقرره لايبنتز وغيره فيما يتعلق بالعدالة الإلهية كثيرٌ منه مستفاد من الثقافة الإسلامية من خلال ما نقل لهم وتمت ترجمته من كتب الفلاسفة المنتسبين إلى الإسلام كابن سينا وابن رشد، وكذلك من كتابات المتكلمين كالغزالي وغيره، حيث يرد فيها الكلام على مشكلة الشر من جهة بيان حكمة الله تعالى من إيجاد الشر، وأن الله يفعل لحكمه، وهو منزه عن العبث -بغض النظر عن تفاصيل الخلافات الكلامية في الموضوع- لكن المهم أن التراث الإسلامي ثري بالمادة المتعلقة بالعدالة الإلهية وحكمة الله من إيجاد الشر؛ والتي بدورها كانت مادةً رئيسية لدى ثيوديسيا لايبنتز.

وهذا ما يؤكد افتقاد المنظومة النصرانية لبناء التصور العقائدي المتكامل؛ فأوغسطين وجد لدى المانوية حلاً استعاره منهم، ولايبنتز أخذ من الثقافة الإسلامية وهكذا، كما أن هذه المسألة مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بحرية الفعل الإنساني، وهي قضية مستعصية على النصارى حيث يغلب عليهم القول بالجبر، ولديهم أخطاء كبيرة في فهم صفات الله تعالى، حيث يعتقدون بأن إرادة الله على ضربٍ واحد، بينما عند أهل السنة والجماعة إرادة الله إما أن تكون كونية فتشمل ما يحبه الله ويرضاه وما لا يحبه الله ولا يرضاه، وإما أن تكون إرادةً شرعية وهي خاصة فيما يحبه الله تعالى ويرضاه، وبهذا ينحل باب كبير من الشبهات المتعلقة بالعناية الإلهية ومشكلة الشر.

وبناءً على ما سبق فإن ثيوديسيا لايبنتز لا تحل المعضلة، بل تزيدها إشكالاً؛ وذلك أنه اعتبر حرية الإرادة الإنسانية هي علة الشرور، في حين أن الله خيرٌ محض لا يصدر عنه سوى الخير، فذاته لا يصدر عنها الشر، ثم راح لايبنتز يبرر وجود الشر على أساس أنه أداة الخير، وأن الشر عنصر جوهري يتركب منه العالم؛ لأن العالم مخلوق لله، والمخلوق أنقص من الخالق، وهنا يكمن الشر، وهنا تأتي عقائد النصرانية: الخطيئة، الصلب، الفداء، العوض، لتحل المشكلة -بزعمهم- وهي في الحقيقة تزيدها إشكالاً، بل تفتح باب الإلحاد وعدم الإيمان لضعف الحجج ووهنها، ولقصور الكتاب المقدس -لديهم- عن إيضاح الأمر وإزالة اللبس عنه.

(1) انظر: موسوعة الفلسفة، عبد الرحمن بدوي (394/2).
(2) تاريخ الفلسفة، إميل برهييه (307/4)
(3) انظر: لمونادولوجيا والمبادئ العقلية للطبيعة والفضل الإلهي، ألبير نصري نادر (ترجمة) (ص72).
(4) انظر: موسوعة لالاند الفلسفية، أندريه لالاند، (1450/3).

لذا لا يمكن حل مشكلة الشر وإبطال شبه الملاحدة، وبيان حكمة الله وعدله وعنايته بغير العقيدة الإسلامية.

المبحث الرابع: تطوير الحجة المنطقية لمشكلة الشر.

في القرن الماضي حصل تحول كبير في النظر إلى مشكلة الشر، بحيث أصبح النظر إليها كتهديد لقضية الوجود الإلهي، بعد أن كانت طوال تاريخ الفلسفة القديمة والوسيطة ينظر إليها على أساس إشكال وبحث لاهوتي متعلق بتبرير أفعال الله، فيناقشها اللاهوتيون المؤمنون على شكل تقديم الدفاع والمبررات عن وجود الشر في العالم، فالشر (كان يعتبر مشكلة بالنسبة للالتزام الإيماني منذ العصور الفلسفية السحيقة ... وبينما قدم تاريخ النقاش الشر كموضوع له أثره على مسألة عقلانية الاعتقاد الديني، كان هذا الجانب من المشكلة واقعاً غالباً في فخ مشكلة أخرى ذات صلة ولكنها مختلفة، وهي مشكلة التفسير. وكمثال على ذلك غالباً ما يتعامل لايبنتز في كتابه ثيوديسيا مع المشكلة بوصفها أساساً مشكلة متعلقة بكيفية تبرير المؤمن لوجود الشر، بدلاً من كونها تعبيراً عن قلق من عدم وجود الله ... لم يؤخذ وجود الشر على أنه اعتبار يؤيد الإلحاد، بل أخذ بشكل أكثر شيوعاً على أنه مصدر لوجود فجوة تفسيرية يتحتم على المؤمن أن يحاول إما ملئها أو تعليلها)[1].

إن الحجة المنطقية لمشكلة الشر تعود في تاريخها إلى اليونان، حيث يقرر أبيقور أن وجود الشر في العالم يتعارض مع وجود الإله؛ لأن الكمال الإلهي يقتضي ألا يكون ثمة شر في العالم وألا يفعل الله الشر. غير أنه حديثاً ضمن تطور حقل فلسفة الدين وانتشار التيار الإلحادي بين صفوف الفلسفة التجريبية حصل تطوير للحجة المنطقية، فانطلاقاً من المبدأ المنطقي القائل بعدم التعارض، افترضوا أن وجود الله يقتضي عدم الشر، والشر فسادٌ محض، والحجة كما يصيغها وليام كالتالي: الشكل المنطقي لمشكلة الشر هو الرؤية التي تقول إن وجود الشر في عالمنا منافر منطقياً لوجود الرب الألوهي. إن التناقض بين وجود الشر ووجود الإله الخير يلزم منه نفي أحدهما، وحينما كانت معرفتنا بأن الشر موجود يقينية لا يمكن نفيها وجب القول بنفي وجود الإله.

هكذا تمت صياغة الحجة المنطقية بصيغتها الأولية، إلى أن جاء الفيلسوف الأسترالي ماكي ونظر إلى صياغة وليام على أساس أنها ناقصة وغير بديهية وتتطلب تدعيماً من خلال المقدمات المنطقية، وذلك لأن التناقض الذي ادعاه وليام غير ظاهر بشكل مباشر، حيث إن ادعاء التناقض لا يكفي فيه مجرد الصحة أو الإمكان، بل يلزم أن تكون المقدمات المدعاة للتناقض ضرورية، ومن هنا ظهر استدلال ماكي بالمنطق على مشكلة الشر بشكل استدلالي منطقي قوي، وانشغل به اللاهوتيون المؤمنون من خلال ثيوديسيا الحكمة والعناية الإلهية للرد عليه، والغرض من هذا المبحث بيان ضعف الحجة الاستدلالية المنطقية بصورتها المطورة الأخيرة التي يزعم الملاحدة أنها أقوى الصيغ الاستدلالية، وبيان أنه لا يمكن إبطالها والرد عليها من خلال الثيوديسيا؛ لوجود الثغرات الكثيرة في الخطاب النصراني، ولا يمكن إثبات الحق إلا من خلال العقيدة الإسلامية؛ إذ في الإسلام ثمة غرض من وجود الشر وليس مجانياً كما يتصور النصارى، فالله تعالى وهب الإنسان القدرة والإرادة ومنحه حرية الاختيار ليختبره ويمتحنه في الحياة الدنيا، ومن تلك الاختبارات تعرضه للشر، إلى غير ذلك من المفاهيم الإيمانية العظيمة التي تقوم عليها عقيدة المسلم؛ بالإضافة إلى الخاصية التي امتاز بها الدين الإسلامي وهو اعتماده على النقل الموافق لصريح المعقول.

الصيغة المطورة للحجة المنطقية:

تنطلق فرضية ماكي من أن الخير يقابل الشر إلى أن الشيء الخير يقوم دائماً بإزالة الشر، فلا حدود لما يمكن لكامل القدرة القيام به، وعليه فكامل القدرة المتصف بالخير عليه أن يزيل الشر بالكلية، بينما الشر موجود، إذ وجود كامل القدرة المتصف بالخير مع وجود الشر تناقض. ويعبر عنها بأسلوب آخر، وهو أن المقترحات القائلة بوجود شيء كلي القدرة وأن الشر موجود غير قابلة للتوافق.

ثم عزز الحجة المنطقية بمزيدٍ من المقدمات للتم صورتها شكلاً وفق التالي:

1. منطقياً لا يتسق أن يسمح الإله الكامل علماً وقدرةً بوجود الشر.
2. الشر موجود.
3. الخير يتخلص من الشر دائماً قدر استطاعته.
4. لا حد للكائن مطلق القدرة أن يفعله.
5. إذن الإله غير موجود.[2]

فيلحظ من هذا التسلسل افتراض التناقض بين وجود الإله ووجود الشر يستحيل معه الاجتماع، استناداً إلى ضرورة قانون عدم التناقض أحد مبادئ الفكر الضرورية في علم المنطق.

إن قانون عدم التناقض مبدأ عقلي صحيح لا إشكال فيه، بل إنه المبدأ الأساسي للفكر، وكما قال عنه أرسطو أنه أشد المبادئ يقيناً[3]، غير أن هذا ليس محط الخلاف؛ إنما محل النزاع مع ماكي في صحة دعواه التناقض

(1) مشكلة الشر، دانيال سبيك، (ص35).
(2) The Philosophy of Religion, Basil Mitchell (edited) Evil and omnipotence, Mackie, (p.93).
(3) انظر: تاريخ علم المنطق، لإلكسندر ماكوفلسكي، (ص102).

في هذا الاستدلال، كما أنه في الوقت ذاته قد وقع في قفزة استدلالية خاطئة، حيث تجاوز البرهنة على المقدمة الأولى: "منطقياً لا يتسق أن يسمح الإله الكامل علماً وقدرةً بوجود الشر". فهي مقدمة غير ضرورية، بل ولا ممكنة، بل هي باطلة، فادعاء ماكي التناقض مصادرة على المطلوب، حيث إنه وقع فيما انتقده على وليام من قبل، حينما قال بأن مقدمات وليام ممكنة والمفترض أن تكون ضرورية، وأنه طور الحجة المنطقية للشر ودعم حججها، والأمر ليس كذلك.

يوضح ذلك أن الله تعالى مستحقٌ لصفات الكمال ونعوت الجلال، وهو قادرٌ على إيجاد الشر وإعدامه، لكنه سمح بوجود الشر لحكمةٍ عظيمة علمها من علمها وجهلها من جهلها، كما قال الغزالي: (والرحيم يريد الخير للمرحوم لا محالة، وليس في الوجود شرٌ إلا وفي ضمنه خير، لو رفع ذلك الشر لبطل الخير الذي في ضمنه، وحصل ببطلانه شراً أعظم من الشر الذي يتضمنه، فاليد المتآكلة قطعها شرٌ في الظاهر وفي ضمنه الخير الجزيل، وهو سلامة البدن، ولو ترك قطع اليد لحصل هلاك البدن، ولكان الشر أعظم ... فكانت السلامة مطلوبة لذاتها أولاً، والقطع مطلوباً لغيره ثانياً لا لذاته، فهما داخلان تحت الإرادة، ولكن أحدهما مرادٌ لذاته، والآخر مرادٌ لغيره، والمراد لذاته قبل المراد لغيره. ولأجله قال الله عز وجل: "سبقت رحمتي غضبي" فغضبه إرادته للشر، والشر بإرادته، ورحمته إرادته للخير[1] ، والخير بإرادته، ولكن إذا أراد الخير للخير نفسه، وأراد الشر لا لذاته، ولكن لما في ضمنه من الخير؛ **فالخير مقضيٌ بالذات والشر مقضيٌ بالعرض، وكلٌ بقدر**، وليس في ذلك ما ينافي الرحمة أصلاً)[2].

ومن ناحيةٍ أخرى فالشر في مفعولات الله تعالى لا في فعله؛ كما في الحديث حينما قال النبي عليه أفضل الصلاة والتسليم: "والشر ليس إليك"[3] ، ويوضحه ابن القيم حينما ميز بين أنواع الشرور، وأن الشر بالذات هو عدم، أما الموجود فليس شراً بالذات بل بالعرض، يقول: (الشر بالذات هو عدم ما هو ضروري للشيء في وجوده أو بقائه أو كماله، فعدم العلم والعدل يلزمهما من الجهل والظلم ما هو شرور وجودية، وعدم الصحة والاعتدال يلزمهما من الألم والتضرر ما هو شر وجودي ... فظهر أن الشر لم يترتب إلا على عدم، وإلا فالموجود من حيث وجوده لا يكون شراً ولا سبباً للشر؛ فالأمور الوجودية ليست شروراً بالذات بل بالعرض)[4].

كما أنه لا يمكن تجاوز مصطلح "التناقض" بدون تحرير المراد به عند أهل الفن؛ فليس كل من ادعى "التناقض" سُلم له به، ولذا عني المناطقة بتحرير مفهوم التناقض ولم يجعلوه مرسلاً، فالتناقض هو الاختلاف الواقع بين قضيتين إيجاباً أو سلباً؛ بحيث يقتضي لذاته الحكم بصدق قضية وتكذيب الأخرى. هذا من حيث المعنى الإجمالي للتناقض، كما حدد المناطقة له شروطاً بتوافرها يحكم بالتناقض؛ وهي: الاتفاق في الموضوع والمحمول لفظاً ومعنىً، والشرط، والكل والجزء، والمكان، والزمان، والإضافة، والقوة والفعل، (أما إذا اختلفتا في شيءٍ من هذه الأشياء لم يجب أن تقتسما الصدق والكذب؛ مثل أن تختلفا في الموضوع، فقيل: العين مبصرة، وعني بالعين هذا العضو المبصر، وقيل العين ليست بمبصرة، وعني به الذهب لم تتناقضا، بل صدقتا جميعاً. أو تختلفا في جانب المحمول، فقيل: زيدٌ عدل، وعني به العادل، وقيل ليس بعدل، وعني به العدالة لم تتناقضا، إذ قد تصدقان جميعاً)[5].

فالقضية القائلة بأن الله تعالى كامل العلم والقدرة لا تناقض القضية القائلة بوجود الشر في العالم؛ وذلك لعدم الاتفاق بين طرفي القضيتين في الموضوع والمحمول، حيث إن من يزعم ذلك لم يتصور صفات الله تعالى الحسنى اللائقة به وفق معناها الشرعي، إذ الله كامل العلم والقدرة متصفٌ أيضاً بالحكمة والعدل والإرادة التي تشمل ما يحبه الله ويرضاه وما لا يحبه ولا يرضاه، فالنظر إلى صفات الله تعالى لا يتم إلا باقتران هذه الصفات جميعاً، والتي باجتماعها نستطيع أن نفسر من خلالها ما يشكل على البشر من وجود الشر في الكون بحسب حكمة الله وابتلاءه وقضاءه وقدره، الأمر الذي يعجز الفكر النصراني بكامله عن إدراكه وتمعنه، وقد قال تعالى: "ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير" (الملك: 14).

وقد ظهر في الفكر الغربي المعاصر امتداداً لثيوديسيا الدفاع عن الحكمة والعناية الإلهية فلاسفة ينازعون التيار الإلحادي ويبطلون حجته المنطقية على مشكلة الشر، وأبرزهم الفيلسوف ألفن بلانتنجا[6]، وذلك في كتابه "الله والحرية والشر" وفيه يقرر أن عمله ليس ثيوديسيا وإنما دفاعاً، بمعنى أن ثيوديسيا تتعلق ببيان الأسباب التي جعل الله من أجلها الشر موجود، فهي تهدف إلى بيان الحكم الإلهية من وراء إيجاد الشر، في حين ينحا الاتجاه الدفاعي إلى مناقشة عقلية صرفة معتمدة على المنطلقات المنطقية، بحيث توضح أن زعم الملحد وجود تناقض بين وجود الله وصفات كماله وبين وجود الشر لا يعدو أن يكون مغالطة منطقية[7].

(1) الرحمة والغضب صفتان حقيقيتان من الصفات الفعلية الاختيارية التي يتصف بها الله تعالى بمشيئته وإرادته، وإرادة الإنعام وإرادة الانتقام من مقتضياتها لا معناها.
(2) المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، (ص65).
(3) أخرجه مسلم في صحيحه (771).
(4) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، (515/2).
(5) البصائر النصيرية في علم المنطق، للساوي، (ص209).
(6) (1932- ..) أحد أشهر فلاسفة التحليل، درس بجامعة هارفارد، ونال الدكتوراه من جامعة ييل، زميل الأكاديمية الأمريكية للفنون والعلوم، له نشاط في فلسفة الدين واللاهوت الدفاعي.
(7) See: The Problem of Evil: The Challenge to Essential Christian Beliefs, Jeremy A., (p. 6).

وقد كان تناول بلانتنجا لدحض مزاعم ماكي على جانبين سلبي وإيجابي[1]؛ فأما السلبي فهو نقض دعوى ماكي التعارض بين وجود الله ووجود الشر، وأنه بالإمكان أن تكون متسقة، فمثلاً المقدمة التي تزعم أن الكائن الخير بإطلاق يقضي على الشر بقدر ما يمكنه ليست حقيقةً ضرورية، بل ينازع بلانتنجا في كونها حقيقة فضلاً عن أن تكون ضرورة، فهي مقدمة يمكن تعديها على النحو التالي: الكائن الخير بإطلاق يقضي على الشر بقدر ما يمكنه، شريطة أن لا يدمر خيراً أكبر أو يخلق شراً أسوأ بقضاءه على الشر. وهكذا أثبت اتساق المقدمات إيمانياً وأنها ممكنة، ولا يوجد ما يبطلها.

أما المقام الإيجابي في دفاع بلانتنجا فيتلخص في أنه يعول في وجود الشر على الإنسان، فتكون حرية البشر ضرورية لإمكانية وجود وجوه خير عظيمة تبرر خلق الله لهذه الكائنات على الرغم من العاقبة الضرورية منطقياً المتمثلة في ارتكاب البشر للشر، فيكون الله قد أتاح إمكانية وقوع الشر. وهنا يلحظ أن بلانتنجا يصدر من اللاهوت المسيحي الذي لا ينفك عن عقيدة الخطيئة والخلاص، فلا يمكن منطقياً الانفكاك عن معضلة الشر دون تحميل الإنسان مسؤولية الإرادة والاختيار، وهي العقيدة التي اختص بها الإسلام، أما لدى النصارى فالإنسان مكبل بالخطيئة القديمة، ولا يمكنه الفكاك عنها بغير حبه للمسيح، وعليه فلا يمكن أن يقرر النصارى للإنسان حرية وإرادة حقيقية مع اعتقادهم بالخطيئة والخلاص والفداء.

ويبقى أن جهد بلانتنجا في الدائرة الفلسفية الغربية يمكن الإفادة منه لإبطال حجج الملاحدة -وإن كان لا يتمتع بالمقومات الكافية لإقامة الحق- (فعلى الرغم من أن حجة ماكي حجة متحدية؛ فإن جرأتها الجدلية بالتحديد هي ما تدعها هشة في النهاية، فأنصار مشكلة الشر المنطقية بمبالغتهم في اتهام المؤمن بانعدام التماسك قد جعلوا من السهل مقاومتها بشكلٍ مدهش، وبصراحة فبمجرد ما أن تفهم التحدي فليس من الصعب كثيراً على المؤمن استحضار احتمالات منطقية بشكل واسع متسقة مع الإيمان، تجعل المجموعة الإيمانية متسقة)[2].

وبذلك اعتبرت الحجة المنطقية قد تم إجهاضها، حيث استقبل المجتمع الفكري الغربي دفاع بلانتنجا استقبالاً حسناً، وفيه يقول وليام لين كرايج: (يسعدني إعلان أنه بعد قرون من المناقشة أغلقت الكتب المكتوبة عن النسخة المنطقية من مشكلة الألم، ومن المعترف على نطاقٍ واسع ما بين الفلاسفة الملحدين والمسيحيين على حدٍ سواء أن النسخة المنطقية لمشكلة الألم أظهرت فشلها، فعبئ الإثبات الذي تلقيه على عاتق الملحد، أي إظهار استحالة وجود الله والألم معاً هو عبئ أثقل من أن يحتمل)[3].

ختاماً كانت محصلة هذه النقاشات الدائرة بين المؤمنين والملحدين أن الاحتجاج المنطقي على مشكلة الشر غير صحيح ولا يعتد به لدى أهل الاختصاص، لعدم حصول التناقض بين الشر المنطقي وبين الإيمان بالله، يوضحه ما ذكره تشاد ميستير: (لا يدرك معظم الناس الذين يكتبون على مستوى شعبي أن فلاسفة الدين المتخصصين؛ ملحدهم ومؤمنهم على حدٍ سواء، قد أجمعوا في السنوات الأخيرة بأن هذا النوع من مشكلة الشر قد دحض تماماً. وعليه فهو غير ناجح، ولا يحصل هذا النوع من الإجماع في الفلسفة عادةً. فلا يوجد تعارض منطقي بين الادعائين؛ لأنه يمكن أن يكون للإله القدير العليم وذي الخير المطلق أسباب وجيهة للسماح بوجود الشر)[4].

2 الخاتمة وأبرز النتائج والتوصيات.

أحمد الله تعالى الذي يسر إتمام هذا البحث الموجز، وأخلص منه إلى هذه النتائج والتوصيات.

النتائج:

1. مشكلة الشر معضلة وجودية إيمانية تحدث عنها الفلاسفة واللاهوتيون منذ أزمنة متطاولة، غير أنها لم تكن تشكك في الوجود الإلهي ذلك الوقت، حيث لم تناقش إلا على سبيل تبرير الحكمة والعناية الإلهية.
2. تطور المسار الفلسفي في الغرب أدى إلى مساءلة المسلمات والبديهيات ووضعها في محك النقد، فمنذ أن أعلن نيتشه موت الإله والحداثة تفاجئنا بهرطقات جديدة، كان الإلحاد المتمثل في نفي وجود الله أبرزها وأخطرها.
3. حقل فلسفة الدين من الحقول الفلسفية التي اشتهرت مؤخراً، وشارك فيها الكثير من الفلاسفة البارزين، غير أنها قامت على أسس لا دينية، وأدت في كثيرٍ من الأحيان إلى نتائج لا تمت إلى الأديان السماوية بصلة كالإلحاد والتعددية الدينية وغيرها.
4. في سبيل إبطال الحجة المنطقية لمشكلة الشر لا يمكن الاعتماد على اللاهوت النصراني، ذلك أنه لاهوت قائم على عقائد باطلة عقلاً كالتثليث والخطيئة والصلب والفداء، والتي لا يمكن معها القول بحرية الإرادة الإنسانية كما في المفهوم الإسلامي.
5. العقيدة الإسلامية تتضمن مفاهيم حقة مبنية على الوحي؛ فمنها ما يتعلق بمبحث صفات الله تعالى وعدله وحكمته، وأن إرادته ليست على ضربٍ واحد؛ فمنها الإرادة الشرعية المرادفة للمحبة، ومنها الإرادة الكونية المرادفة للمشيئة، وما يتعلق باختيار الإنسان ومشيئته، فمن خلال هذه الحقائق يمكن إبطال معضلة الشر، ويبقى دور ثيوديسيا والدفاع الذي قدمه بلانتنجا

(1) انظر: عقلانية الإيمان عند ألفن بلانتنجا، رضا زيدان، (ص118).
(2) مشكلة الشر، دانيال سبيك، (ص71).
(3) عقلانية الإيمان، (ص130).
(4) God: Evil and morality, by Chad meister, (p.108)

مجرد إبطال وإبداء ثغرات على الخطاب الإلحادي، لكنه لا يقيم حقاً؛ لفقر أدوات اللاهوت النصراني.

6. الحجة المنطقية لمعضلة الشر تتسم بانطلاقها من المقدمات والمبادئ المنطقية وتتخذ من قاعدة عدم التناقض منطلقاً في حجتها لإثبات نفي وجود الله، وعند الفحص والتحقق ظهر بطلان التمسح بالشعار المنطقي، بل المنطق دالٌ على العكس من ذلك.

التوصيات:

1. أوصي بالعناية والاهتمام بمناقشة حقل فلسفة الدين ومواكبة الأطروحات الحديثة فيه؛ ذلك أنه هو المعبر عن الفلسفة المعاصرة اليوم في القرن الحادي والعشرين.
2. كما أوصي بالاطلاع على كتابات اللاهوتيين النصارى؛ لمعرفة ما يدور من أفكارٍ معاصرة تظهر في بيئاتهم، لتتم مناقشتها وإظهار الحق فيها بناءً على العقيدة الإسلامية.
3. إبراز محاسن الإسلام وعقيدته القائمة على وضوح الحجة وصفاءها، وأنها عقيدة مبنية على مصادر المعرفة التي لا تناقض ولا تعارض فيما بينها: الوحي – الفطرة – العقل.

نبذة عن الباحث:

د. ماهر بن عبد العزيز الشبل، أستاذ مشارك في قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، كلية الشريعة، جامعة القصيم، أكاديمي سعودي

as.ude.uq@lbehsla.m

النشاط البحثي متمحور حول مجالات فلسفة الدين والمنطق وعلم الكلام، لي كتابان منشوران: مشكلة الكليات المنطقية، وموقف ابن رشد من الأشاعرة، ولي عدد من الأبحاث العلمية المنشورة في المجلات المتخصصة.

3 قائمة المراجع

أولاً: المراجع العربية:

اعترافات القديس أغستينوس، إبراهيم الغربي (ترجمة)،المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون "بيت الحكمة،2012.

The confessions of St. Agsinos, Ibrahim Al -Gharbi (translated)(In Arabic), the Tunisian Complex for Science, Literature and Arts "House of Wisdom, 2012.

البصائر النصيرية في علم المنطق، عمر بن سهلان الساوي، تحقيق حسن المراغي، مؤسسة الصادق – طهران، 1390.

Al-Basair Al-Nusayriyyah in Logic, by Omar bin Sahlan Al-Sawi, edited by Hassan Al-Maraghi, Al-Sadiq Foundation - Tehran, 1390. (in Arabic)

تاريخ علم المنطق ، إلكسندر ماكوفلسكي ،إبراهيم فتحي (ترجمة)، دار الفارابي،1987.

History of logic, Alexander Mcovski, Ibrahim Fathi (translated) (in Arabic), Dar Al -Farabi, 1987.

لمونادولوجيا والمبادئ العقلية للطبيعة والفضل الإلهي، ألبير، نصري نادر(ترجمة)، المنظمة العربية للترجمة، بيروت 2015.

Monadology and Mental Principles of Nature and Divine Virtue, Albert, Nasri Nader (translated) (in Arabic), Arab Translation Organization, Beirut, 2015.

مدخل إلى الميتافيزيقا ،إمام، عبد الفتاح إمام، شركة نهضة مصر للطباعة – القاهرة،2007.

An Introduction to Metaphysics, Imam, Abdel -Fattah Imam, (in Arabic), Nahdet Misr Printing Company, Cairo, 2007.

روح الفلسفة الأوربية في العصر الوسيط لـ إتين جلسون ،إمام، عبد الفتاح إمام(ترجمة)، دار الثقاف، 1982.

The Spirit of European Philosophy in the Medieval Era by Etin Glosson, Imam, Abdel -Fattah Imam (translated) (in Arabic), Dar Al -Thiqaf, 1982.

موسوعة لالاند الفلسفية ،أندريه، دار عويدات،2012.

Laland Philosophical Encyclopedia, André (in Arabic), Dar Owaidat, 2012.

موسوعة الفلسفة ،بدوي عبد الرحمن، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1984.

Encyclopedia of Philosophy, Badawi Abdel Rahman (in Arabic), Arab Foundation for Studies and Publishing, 1984.

العناية الإلهية ومسألة وجود الشر في العالم بين الفلسفتين الإسلامية والمسيحية في العصر الوسيط دراسة مقارنة ،جاد،أحمد محمد، حولية الجامعة الإسلامية بإسلام آباد،2004.

Divine Care and the issue of the Existence of Evil in the World between the Islamic and Christian Philosophy in the Medieval Era, a comparative study,(in Arabic), Jad Ahmed Muhammad, the Islamic University of Islamabad, 2004.

تاسوعات أفلوطين ، جبر، فريد (ترجمة)،مكتبة لبنان ناشرون، 1997.

Plato's Enneads, Jabr Farid (translation), (In Arabic) Lebanon Library, Nashirun Publishers, 1997.

تكوين العقل الحديث لـ راندال ،جورج ،طعمة (ترجمة)، المركز القومي للترجمة، 2013.

The Composition of the Modern Mind by Randal, George, Tohme (translated) (in Arabic), National Center for Translation, 2013.

الموسوعة الفلسفية المختصرة ،جوناثان ، رى وج.أو. أرمسون،مراجعة وإشراف زكي نجيب محمود،المركز القومي للترجمة، 2013.

The Brief Philosophical Encyclopedia, Jonathan, R. and G.O. Armasoun, (in Arabic) Review and Supervision by Zaki Naguib Mahmoud, National Center for Translation, 2013.

جمهورية أفلاطون ،خباز حنا، مطبعة المقتطف والمقطم، 2016.

Plato's Republic, Khabbaz Hanna (in Arabic) Al -Muqtaqti and Mokattam Press, 2016.

عقلانية الإيمان عند ألفن بلانتنجا ،زيدان،رضا، مركز دلائل، 1445.

The Rationality of Faith under Alafin Bolatunja, Zidane, Reda (In Arabic) Dalail Center, 1445.

مشكلة الشر، لسبيك السباعي، سارة،المركز القومي للترجمة، 2016.

The Problem of Evil by Sabeek Al Sebaei,(In Arabic), Sarah, National Center for Translation, 2016.

تاريخ الفلسفةلإميل برهييه، طرابيشي جورج(ترجمة)، دار الطليعة،2016.

History of philosophy By Emile Barahia, Tarabishi, George (translated) (In Arabic), Dar Al -Taleea, 2016

المدخل إلى الفلسفة لأزفلد ، عفيفي ،أبو العلا (ترجمة)، دار عالم الأدب، 2016.

Introduction to Philosophy by Azfield, Afifi, Abu El -Ela (translated) (in Arabic), Dar Al -Alam Literature, 2016.

مدخل إلى الفلسفة القديمة لـ أ.ه. آرمسترونغ ،الغانمي سعيد (ترجمة)، المركز الثقافي العربي، 2009.

An Introduction to the Ancient Philosophy by A.H. Armstrong, Al -Ghanmi Saeed (translated) (in Arabic), Arab Cultural Center, 2009.

المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، أبو حامد الغزالي، مكتبة الجفان والجابي – قبرص،1987.

The Greatest Objective in Explaining the meanings of Most Beautiful Names of God, Abu Hamid Al -Ghazali, Al -Jafan and Al-Jabi Library, Cyprus, 1987.

تاريخ الفلسفة الأوربية في العصر الوسيط ،كرم، يوسف،مؤسسة هنداوي،2014.

History of European philosophy in the medieval Era, Karam, Youssef, (In Arabic), Hindawi Foundation, 2014.

شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، ابن قيم الجوزية، تحقيق عمر الحفيان، مكتبة العبيكان، 1420.

shifa' alealil fi masayil alqada' walqadar walhikmat waltaelili, by Ibn Qayyim al-Jawziyya (translated) (in Arabic), edited by Omar al-Hafeyan, Al-Ubaikan Library, 1420.

ثانياً: المراجع الأجنبية

Evil and Omnipotence, Mackie, J.L, Oxford University Press, 1955. http://links.jstor.org/sici?sici=0026-4423%28195504%292%3A64%3A254%3C200%3AEAO%3E2.0.CO%3B2-2

God: Evil and morality, by Chad meister, 2012.

The Philosophy of Religion, Basil Mitchell (edited), N.P., 1971.

The Problem of Evil: The Challenge to Essential Christian Beliefs , Jeremy A. Evans, B&H Academic, 2013.

Theodicy. United States of America, Leibniz, 2005.